ارتفاق البيئة نحو صياغة عقدية لنموذج الخليفة الإنسان مقاربة عقدية أخلاقية

Environmental Servitude Towards a Theological Formulation of the Human Caliph Model - A Theological and Ethical Approach

أ.د/ لحلح الزهرة[1] (1)

Pr. LAHLAH Zahra

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة (zlahlahe@yahoo.com)

تاريخ الاستلام: 2022 /12/27 تاريخ القبول: 2024 /07/04 تاريخ النشر: 2024/07/15

ملخص:

تتمحور المعالجة المعرفية لموضوع الدراسة حول مجموعة من المضامين الواجبة تحصيلها وحضورها ضمن علائق الإنسان ببيئته في اطار ما يسمى بارتفاق البيئة داخل إطار المنظومة العقدية والبناء المعرفي الإسلامي كنواظم عقدية وسلوكية تحدد وتوضح طبيعة تلك العلاقة من جهة وآثرها على البيئة من جهة بحكم أن الكائن البشري أو الإنسان يمثل أحد عناصر هذا الكون ووحدة من الوحدات المشكلة لعموم الوجود الكوني على مستوى الخلق وكذا الممارسة للحياة وهذا ما عين ما يصطلح عليه أو يعبر عنه بالتأطير العقدي لنسخة نموذج الخليفة في انكفاءه على مباشرة كونه وبيئته بحيث تنصرف أهدافه وغايات في انساق شديد مع المقصد الحضاري لسلوكاته في تعاطيه مع بيئته استمتاعا واستمرارا في بعديه العقدي والأخلاقي نحو الاقتراب من المولى عز وجل دون أن يكون فعل الانتفاع غايته القصوى وإلا كانت ممارساته البيئية عبارة عن تصرفات استحواذية تؤخر من ترقبه في سلم التحضر والإنسانية كشرائط لازمة للاستخلاف الخير أو نموذج الخليفة الانسان.

كلمات مفتاحية: ارتفاق البيئة، الخليفة، أخلاقية، عقدية.

Abstract:

The epistemological treatment of the study's subject revolves around a set of essential contents that must be acquired and present within the human-environment relationships under the concept of "environmental servitude" within the framework of the Islamic theological system and knowledge structure. These serve as theological and behavioral norms that define and clarify the nature of this relationship and its impact on the environment. The human being, as one of the elements of this universe and a unit within the entirety of existence in creation and life practice, is what is referred to as the theological framing of the "Caliph model." This model emphasizes the human's direct engagement with their universe and environment, aiming to align their goals and objectives with the civilizational purpose of their behaviors in their interaction with the environment, both for enjoyment and continuity, in its theological and ethical dimensions towards drawing closer to the Almighty. Thus, the act of benefiting from the environment is not the ultimate goal; otherwise, environmental practices would be merely acquisitive actions that hinder their progress in the ladder of civilization and humanity, which are essential prerequisites for good stewardship or the "Caliph model ".

Keywords*: Environmental Servitude, Caliph, Ethics, Theology.*

[1] الباحث المرسل.

1. مقدّمة:

ينصرف موضوع الدراسة إلى استدعاء معرفي ومنهجي لذلك النموذج للخليفة الإنسان وفق صياغة عقدية في أبعاد أخلاقية داخل مضامين الارتفاق البيئي، حيث يتم التركيز على التوجيه العقدي للمعالم السلوكية والفكرية المفروض ارتفاقها داخل تعاملات الإنسان الخلقية مع بيئته، وكونه ككل لتحقيق شرائط الاستخلاف واستحقاق نموذج فاعل للنسخة البشرية في أفق الفعل الاستخلافي وفق قيم الصيانة والاستغلال، وكذا الجمال التي يرتفقها الإنسان ليقضي على خوارم التبديد والإتلاف البيئي المعبرة عن أشكال العدوان والغصب للبيئة من تبديد للموارد والثروات الطبيعية والإسراف في صور التلوث المادي والمعنوي بحجة الغلبة والاستحواذ لملكية، وحيازة الخلافة والعمران، في حين أن هاتين الآخرتين من المفروض توجهها وتقصيدها نحو الإصلاح جوهر التعبد "**وما خلقت الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**"[الذاريات: 56]، الذي يستغرق كمبادئ الأخلاقية في جنوح تام نحو "**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**" الإفساد [الأعراف: 56].

وكلها معالم تمكننا من تقديم نموذج فاعل للإنسان الخليفة إلى حدود هذه الأسطر نطرح إشكال الدراسة على النحو الآتي:

إشكالية الدراسة:

كيف يمكن تحقيق صياغة عقدية لنموذج الإنسان الخليفة؟ هل يتظافر البعد الأخلاقي والعقدي في تحقيق وعي بيئي يمكن تقصيده نحو ارتفاقات بيئية كشرائط للفعل الاستخلافي الحضاري؟ وفق أي قيم ينتظم خلالها الفعل الاستخلافي بشقيه العمارة والتعمير في النسخة الخيرة للإنسان؟

خطة الدراسة:

مقدمة.

المبحث الأول: ارتفاق البيئة المفهوم والدلالة.

المبحث الثاني: مساقات الارتفاقات البيئة في مضامين الخلافة.

المبحث الثالث: الخليفة النموذج بين الصياغة العقدية والمبدأ الأخلاقي.

خاتمة.

2. المبحث الأول: ارتفاق البيئة المفهوم والدلالة

1-ارتفاق:

رَفِقَ فلان رفق رفاقه صَار رفيقا والفعل رَفِقَ/ رفقَ بـ/ورفقَّ على/ ورفقَّ في/ ورفقّ لـ/ يرفُقُ ويرفِقُ رفقا فهُو رافق ورفيق والمفعول مرفوق.

رفق بحاله: حنَّ، عطف رفقَا عليه، والرفق ضد العنف رفق بالأمر وله وعليه يرفق رفقَا ورفق يرفق ورفق لطف ولطف بالرجل وأرفقته أي نفعته وأولاده رافقه أي رفقَا وموبه رفيق لطيف وهذا الأمر بك رفيق ورافق ورفق في السير قصد واعتدل.

ورفق صاحبه نفعه.

مصد رفق رفق عامله برفق بلُطف، برقة رفقَا به ويقال في الدعاء اللهم رفقَا بعباد لا على نحو ترفق يترفق فهو مترفِق أي عاملهم برفق وعناية، وكذلك يرد بمعنى حسن الصنيع فرفق بـ/رفق وعناية وكذلك يرد بمعنى حسن الصنيع فرفق بـ/ رفق فقي رفق ليرفق ويرفق رفقا فهو رافق ورفيق والمفعول مرفوق/ رفق فلان رفق لفلان لطف به وأحسن الصنيع له والمرفق ما استعين به وذكر ابن الأعرابي: رفق انتظر ورفق إذا كان رفيقا والمرفق رمن مرافق الدار والمرفق من الإنسان أعلى الذراع واسفل العضد[1].

ومنه يمكن القول أن العبد اللغوي للفظ الارتفاق ينصرف إلى مستويين أو معنيين رئيسين هم الجنوح إلى اللطف بالأشياء أما الثاني فخير الانتفاع والاستعانة والاتكاء على المرافق ماديا ومعنويا حقيقة أو مجازا.

2-البيئة: لغة واصطلاحا:

أ-لغة:

البيئة من أصل فعل بوأ كتبؤ المنازل فيقال بوأه منزلا أي نزل به إلى سند جبل وبؤله وبوأه فيه أي هيأه وأنزله ومكَن له فيه والاسم البيئة ومنه قوله تعالى: "**أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** "[يونس:87] والقصد أي اتخذوَا وتبوأه صَلحه وهيأه ومنه يقال تبوأ فلَان منزلَا أي اتخذ أشده اَستواء وأَمكنه لمبيته، والبيئة والباءة والمباءة أي المنزل ولذا سمي عقد النكاح باءة وهذا لأن من يريد الزواج من امرأة فهو يبوؤها منزلا[2] .

ومنه يمكن القول أن الفعل تبوا يمكن أن صرفة لمعنى إصلاح المكان ولتهيئته منزلا للمبيت به وكذا يمكن

---

[1] _ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، بيروت، ط6، دار صادر، 1999] باب الهمزة فصل الباء، ج1، ص 38، 39 والزبيدي، تاج العروس، [بيروت، دار مكتبة الحياة]، ج1، ص 37.

[2] _ ابن منظور، لسان العرب، باب الهمزة، وصل الباء، ج1، ص 38، 39 والجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور38، 39 والجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، [بيروت، ط3، دار العلم للملايين، 1984] فصل الباء، ج1، ص 37، الزبيدي، تاج العروس، باب الهمزة، فصل الباء، ج1، ص 47.

انصرافه لمعنى الإقامة والنزول [1].

ب-اصطلاحا:

البيئة (Environnement) تطلق في الاصطلاح على الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد والمؤثرة فيه وتحمل على مجالات مختلفة فهناك البيئة الإقتصادية، والسياسة والفيزيائية والاجتماعية والصحية والطبيعية[2].

وهذا ما يفيد تعدد عبارات العلماء وتعاريفهم للبيئة في تحديد معنى بداية يجمع ويحصر كل مدلولاته المستلزمة للفظها لأن هذا الأخير يعد لفظ شائعا على مستوى الاستخدام يفهمها كل فرد في حدود استخدامه المباشر لها وخلالها يرتبط مدلولها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها إلا أن هذا لا يمنع من رصد بعض التعاريف المقاربة لتمام مدلولها.

-البيئة هي: «الإطار الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظاهرات طبيعية وبشرية يتأثر ويؤثر بها ويحصل على مقومات حياته من غداء وكساء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من البشر»[3] .

وهذا يعني عدم اقتصار مدلول البيئة على الموارد المستمد منها مقومات العيش والحياة وإنما تمتد لتشمل أيضا تلك العلاقة التي يرتبط بها الإنسان مع مجتمعه التي تقوم بها المؤسسات الاجتماعية والعادات والأخلاق والقيم [4].

-البيئة هي: «كل شيء يحيط بالإنسان»[5] بمعنى أن مدلول البيئة يحيط بالعناصر الطبيعية من ماء وهواء وتربة ومعادن وكذا إحاطتها برصد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما لتلبية احتياجات الإنسان وآماله وتطلعاته[6] .

أما عن مدلول البيئة في المرجعية العقدية الإسلامية تبين أن كلمة البيئة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ليس لها ورود وإن كان مدلولها يعبر عن مفهوم شامل يرتبط دائما بكلمة الأرض بالقرآن الكريم على وجه الاقتران والوصل بالفعل تبوأ يول تعالى: "**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**"[الأعراف:73].

ومن شواهد مرادفة البيئة للفظ الأرض بأي القرآن الكريم أنها ذات الآيات قد وصفت الأرض بما يفيد

---

(1) _ صفاء موزة، حماية البيئة الطبيعة في الشريعة الإسلامية، [لبنان، ط1، دار النوادر، 1431هـ-2010م]، ص 23، 24.

(2) _ جميل صليبا، المعجم الصليبي [بيروت دط، الشركة العالمية، 1984م]، ج1، ص 220.

(3) _ حمد وصباريني، البيئة ومشكلاتها [الكويت، ط2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984]، ص 14.

(4) _ صفاء موزة، حماية البيئة، ص 25 وكذا عبد العظيم الإسلام والبيئة، [الاسكندرية، دط، مؤسسة شباب الجامعة]، ص 6.

(5) _ سعيد الخمار، بيئة من أجل البقاء، [قطر، دار الثقافة، 1998م[، ج1، ص 136.

(6) _ حمد وصاريني، البيئة ومشكلاتها، ص 28.

منزل الإنسان وقد تقدم سابقا أن البيئة هي المنزل في اللغة يقول تعالى: "**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى** "[طه: 52] وكذا "**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**"[البقرة: 36] والملاحظ هنا بالنسبة للآي الكريم التي تم ذكر الأرض بها أنها وردت باستخدام لام الإضافة لكم في إشارة وتأكيد على توجيه الأرض وما عليها من مكونات وموارد لصالح الإنسان ومنفعته من حيث أنها مسكنه ومنزله إلى حين (1).

هذا بالإضافة إلى تضافر أي الذكر الحكيم في النهي عن الإفساد في الأرض:" **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**" [الأعراف: 157] الأمر الذي يستقيم معه لزوم سلامة الأرض والإعراض عن إتلافها لأنها المحيط الذي يعيش به الإنسان ومدار سلامة حياته ومقدرات عيشه.

ج-ارتفاق البيئة:

إن التعامل مع هذا المركب الإضافي يستحضر مجموعة من المضامين الواجبة تحصيلها وحضورها ضمن علائق الإنسان ببيئته في إطار المنظومة العقدية والبناء المعرفي الإسلامي كنواظم عقدية وسلوكية تحدد وتوضح طبيعة تلك العلاقة من جهة وآثرها على البيئة من جهة بحكم أن الكائن البشري أو الإنسان يمثل أحد عناصر هذا الكون ووحدة من الوحدات المشكلة لعموم الوجود الكوني على مستوى الخلق وكذا الممارسة للحياة التي عرفت التي اتسمت بضبابية المشهد وعدم اتضاهه تجاه طبيعة وصورة تلك العلاقة الكائنة بين الإنسان وبيئته حيث عرفت اضطرابا شديدا على مستوى مختلف مرجعيات الفكر البشري بين الخوف والاضطرار ودروب الحتمية التي أحالت ذلك الكائن إلى منعكسات سلبية إزاء قوى الطبيعة باعتبار أن البيئة المادية قوة ذات تأثير حتمي في الكائنات الحية(2) مما أسهم في عدم وضوح وثبات تلك العلاقة أصلا لذا فإن المعول في انتظام وصحة تلك العلاقة هو البعد العقدي او المرجعية العقدية القطعية التامة في تشريعاتها والتي صرحت في نصوصها أن الإنسان هو الخليفة في الأرض" **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** " [البقرة: 30] لذا فممَارسَة الخلافة في الأرض يجب أن تكون وفق ضوابط الرفق والارتفاق بما يستلزم التعامل مع البيئة بكل ما يحقق التدبر والنظر لعظيم القدرة والعناية من جهة وكذا ممارسة الفعل الاستخلافي بكل معايير الارتفاق استثمارا لها واستغلالا لمنافعها وتسخير مرافقه "**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ** " [هود: 61] وبناء عيه يمكن التعامل مع مصطلح الارتفاق في مساراته البيئة بالشكل الذي يحكم الوصل بين الارتفاق والتحضر لأن التصور الذي يقيمه الإنسان عن بيئته هو الذي يحدد موقفه السلوكي

(1) _ أبو الحسن الرماني، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، [مصر، دار النهضة مصر للطباعة]، ص 166.

(2) _ الحتمية (déterminisme)مذهب فلسفي يرى أن جميع موجودات العالم وخاصة أفعال الإنسان ترتبط مع بعضها وفق نظام كلي دائم لا يشد عنه في الزمان والمكان، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 442، 444.

ونسقه الأخلاقي منه، إذ بالنظر إلى نصوص المرجعية العقدية الإسلامية نجد القرآن الكريم يحتفي بطبيعة علاقة الإنسان بالكون من الناحية المبدئية العقدية كما من الناحية الإجرائية على دعائم الرفق والارتفاق بكل ما يحمله المصطلح من انتفاع لخيرية وهذا دائما دخل أطر محورية الفعل الاستخلافي(1)، المنصرف لتجسيد وجوه تلك الخيرية وتحديدا ارتفاق الإنسان بالبيئة المعبر بالأساس عن ذل الوعي البيئي المرادف للارتفاق البيئي الذي تجري عليه مباشرة الكون في بناء التحضر وفق دعامتين أساسيتين:

-الرفق الذي هو اللطف بالشيء ضد العنف.

-الانتفاع والاستعانة.

وإلى هذين المعنيين يذكر عبد المجيد النجار أنه إلى هذين الدعامتين ترجع كثير من القواعد الجزئية في فقه التحضر الإسلامي في العلاقة بالكون وفق الارتفاقات الآتية:

-ارتفاق الانتفاع بالكون:

إن النسق العقدي أو المرجعية العقدية الإسلامية تجعل من الأرض مجالا مذللا لاستغلال مواردها ونعمها من حيث الأمر بالسعي في مناكبها المسخرة للإنسان ثم أحكم الوصل بين ذلك السعي والتسخير بمبدأ الجزاء والعقاب كضابط عقدي ينظم سلوكاتنا البيئية لتحصيل مباشرة البيئة مباشرة إيجابية للانتفاع بمرافقها واستثمار مقدراتها حتى تتم للنوع البشري حال من السلطة والقوامة تقودهم رأسا إلى سلم الخلافة والتعمير وتحول دون أشكال وأنساق في العلائق المرضية بين الإنسان وكونه أو بيئته الآن التوافق والارتفاق مع البيئة يشع داخله بعدا كونيا ووشائج نفسه من الشعور بوشائج الألفة والوئام وهو المناخ النفسي ذاته الذي يتيح للإنسان الإقبال على الكون والانفتاح عليه والتعامل معه بكل تلقائية بعيدا عن حالة الجزع والتوتر أو أشكال القهر والحتمية (2).

وليست معاني ارتفاق الانتفاع تقتصر على الجانب المادي الاستثماري بل إنه يمتد كذلك إلى تلك المجالات المعرفية لأن الكون هو المجلي الأكبر وخزان العلوم المختلفة لذا يحرص القرآن الكريم على توجيه الإنسان إلى تأمل وتدبر.

مظاهر الكون بالنظر والتأمل والسمع والبصر وغيرها من ألفاظ المعرفة ونوافذها التي تمثل نظرية متكاملة في المعرفة تبدأ بالتعامل مع عالم الحس ثم إعمال العقل وآلياته به بغية النفاذ إلى القوانين والدلالات النظرية(3) يقول تعالى: "**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**"[النحل: 78]

(1) _ عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي [بيروت، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1427هـ-2006م]، ص 127.

(2) _ عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، ص 134.

(3) _ المرجع نفسه.

-ارتفاق اللطف واللين:

لقد أرست العقيدة الإسلامية علاقة الإنسان بالبيئة على دعائم الود والانسجام لذا نجد القرآن الكريم يحرص دوما على أن يظل الإنسان مشدودا إلى الكون بعلاقات ووشائج وثيقة على مستوى العبادات والأحكام فالصلاة ومواقيتها يرتبط في الإنسان فيها بالمظاهر الفلكية من شروق وغروب والصيام وأيامه ولياليه كلها مرتبطة بتلك المظاهر الفلكية كل هذا يبين لنا مدى ارتباط واتساق الكون مع الانسان ضمن علائق متبادلة(1).

ومن لوازم وضوابط تلك العلائق المتبادلة الحرص على دفع العدوان والإفساد يقول تعالى: "**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (206)**" [البقرة:205/204].

لأن الترفق بالبيئة هو النتيجة المنطقية للربط بين السلوكات البشرية والمعتقد التسليم بما يسمح معه قيام السعي الحضاري لاحترام وإكرام البيئة بكل نظامها التي صمما لتقع الإنسان والترفق بها من الاتلاف والفساد صيانة لمقدراتها الكمية والكيفية.

3. المبحث الثاني: مساقات الارتفاقات البيئة في مضامين الخلافة

إن المتفحص لأي الذكر الحكيم يستطيع تلمس الجانب الغائي من الخلق البشري وهي الخلافة في الأرض كمهمة وجودية من أجلها خلق وبها كلف وعليها يحاسب لأنه الإنسان الخليفة قال تعالى: "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**" [البقرة 30] والمعنى هنا لا يقتصر على شخص آدم فقط بل الخطاب والتكليف يستغرق نوع الإنسان بصفة عامة لأن مساق الآية ليس بمنحى البيان لأحوال خاصة بشخص آدم عليه السلام بل جاءت في معرض الإخبار عن خلق نوع جديد وهذا ما يذهب إليه الزمخشري في قوله: «أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر ينبه كما يستغنى بذكر أبي الخليفة في قولك مضرو هاشم» (2).

هي خلافة عن الله عز وجل ليقوم بتنفيذ أوامره وتنفيذ إرادته لأنه من شرائط الاستخلاف والتكليف بتنفيذ المواد وهذا يميل إليه الإمام الشاطبي والإمام ابن عاشور وغيرهم كثير(3): «فالخليفة آدم وخلافته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض» (4).

والاستخلاف في هذا المقام هو استخلاف فخري تشريفي لاستخلاف حاجة من المستخلف من الوجوه التي لا تجوز على المولى عز وجل لأنه القادر والعزيز بل إن الخلافة تعني أن المولى عز وجل اتجهت حكمته وإرادته

---

(1) _ عبد الباري محمد داود، دراسات فلسفية وإسلامية في الآيات الكونية [القاهرة، ط1، دار الآفاق العربية، 1999م]، ص 64، 65.

(2) _ الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 71.

(3) _ عبد المجيد النجار، فقه التحضر، ص 51.

(4) _ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 76.

إلى أن يجعل من هذا الكون الرحب مجالا للإعمار والتعبد الذي خص في أصل خلقته بالعقل لذا سخر له كل شيء وجعله مسؤولا تجاه بقية المخلوقات وفق نيابة محددة بزمن ومشروطة بأنساق الخيرية والتشريف يقول الراغب الأصفهاني: «والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الاخير استخلف الله أولياءه في الأرض» (1).

ولأنه الخليفة وجب عليه استجماع الإرادة الحرة والمعرفة في وسطية جامعة بين الجانب المادي والجانب الروحي الخير الذي يعبر عن أهم لوازمه وهو الوعي والإرادة المهيئة للاختيار بين أوجه ومستويات القرارات الناجمة عن ذلك الفعل أو الاختيار(2).

وداخل هذا الاختيار يتمحور وعيه بمسؤولياته وإلتزاماته اتجاه نوعه البشري أولا وسائر الموجودات ثانيا بما في ذلك محيطه الذي يعيش في كنفه وحيط به إحاطة مشاركة وانفعال واستجابة لأنها بالأساس تنصرف إلى مسؤولياته والتزاماته الدينية والأخلاقية تجاه بيئة بالشكل الذي تمليه عليه ماهيته في أصل خلفته والمفترض تحقيقها ونقلها من القوة إلى الفعل المشروط بشاهدة لتوحيد المرتفقة لمناط المسؤولية تجاه نفسه وغير مع ضرورة مقاومة وحضر معوقات الفعل البيئي المسؤول ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [إسراء: 36]. والمسؤولية البيئية فرع عن أنواع المسؤولية العامة والأمانة الملقاة على عاتق الانسان الخليقة والحال أنه مخاطب بالإصلاح في الأرض وترك الإفساد بطريقة التسخير والعمارة اللذين يقعان ضمن أمانة التكليف والاستخلاف قال تعالى: **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** [الأعراف: 56].

ثم إنه من مستلزمات مسؤولية الإنسان تجاه ببيئة كخليفة لا تبرر له تجاوزها أو استغلالها دون ضابط أو احتمال قيمتها ووظيفتها وفق معاييره الذاتية ودواعيه السلبية، لأن الخلافة تعبر عن علاقة الهين الله والإنسان من جهة وعلاقته من جهة أخرى بكل ما استخلفه الله عليه إذ تمثل العلاقة الأدنى الخضوع والطاعة لله عزوجل ضمن مدلول العبادة ومقتضياتها، أما العلاقة الثانية فهي تعبر عن لتسخير للأرض وما عليها رماني باطنها لتكون تلك الخلافة عبودية وسيدة في آن واحد على نسق الإلتزام الأخلاقي الذي تفيده آي القرآن الكريم الراسمة لتلك الحقوق المشتركة والمتبادلة في العلاقة بين الإنسان والبيئة بالتسخير أولا والإصلاح ثانيا(3).

ومن الضرورة بمكان التأكيد على عدم استلزام الخلافة للملكية إذا الملك لله وحده على النحو الذي يستوجب استخدام سلطته كخليفة لا كمالك، بل هو صاحب أمانة وخليفة مستأمن على ما عهد به إليه يقول

(1) _ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ت: صفوان داووي، [دمشق، ط1، 1996م]، مادة حلف، ص 294.

(2) _ عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، [المغرب، دار الزيتونة، 1996م]، ص 44 ولحلح الزهرة، "مضامين الجمال والمسؤولية في البعد البيئي الإسلامي [الجزائر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد 29، 2011]، ص 247.

(3) _صالح محمود وهي البيئة من منظور إسلامي [دمشق، ط1، دار الفكر، 2004م]، ص 50.

تعالى: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب: 72].

وفي هذا المعنى يقول الطاهر بن عاشور: «ومن هذه المحامل أن يكون المراد بالأمانة حقيقتها المعلومة وهي الحفاظ على ما عهد به ورعيه والحذار من الإخلال به سهوا أو تقصيرا» (1).

وليس يخفى أن وجه الإستدلال في الربط بين النمي عن الإفساد "ولا تفسدوا" وضرورة حفظ الأمانة هو المنع والمراد به المنع من كل ما كان فسادا هملاً للفظ على عمومه لقوله تعالى: "وَلَا تُفْسِدُوا "هو منع من إدخال الماهية في الوجود يقتضي المنع من جميع أنواعه وأضافه» (2).

وهنا يدخل معنى الإفساد جميع وجوه الاعتداءات التي يمارسها الإنسان على بيئته من تلويث واستنزاف وتعطيل وهذا النهي يقتضي التحريم فتكون الآية دليلاً على وجوب الحفاظ على البيئة سليمة نقية لأن الأصل المضار الحرمة والمنع على الإطلاق (3).

والمستفاد من أعلاه أهمية العقيدة أو الوازع البدني في الإرتفاق البيئي على المستوى الفردي والجماعي من خلال الدعوة إلى عدم التبذير في استهلاك الموارد الطبيعية وعدم تعطيل الموارد وإتلافها بحكم أن العناصر البيئية هي حق متبادل بين أفراد المجتمع ومن حق كل واحد الانتفاع منها بقدر الحاجة ودون إضرار.

وبناء عليه يمكن الاعتداد بنصوص المرجعية العقدية الاسلامية في تعاملها مع الاتفاق البيئي في آفق الاستخلاف كمضامين نظرية وسلوكية للوعي البيئي (4).

الكفيل بإعداد الإنسان للتفاعل مع البيئة بكل صورها وتوجيه السلوك البشري للمحافظة عليها أمام تفاقم المشكلات البيئية على جميع مستويات التلوث ماء، هواء تلوث اشعاعي وضوضائي، لكن هذا لا يعني اطلاقا أن الخلل البيئي السابق يتعلق بالأساس بالنشاط الصناعي أو أي نشاط آخر من أنشطة التعمير لتي يمارسها الإنسان لأنها تدخل في صميم مهمته الطبيعية ل انها ذات ارتباط وثيق بالبيئة الثقافية والأخلاقية للإنسان من حيث التصور الثقافي للبيئة والتعامل الذي يفضي إلى إصلاح البيئة وتنمية مواردها وعدم الإفساد فيها بمختلف الوسائل لأنه يدخل في الواجب يقتضى مقدمة الواجب: مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب (5).

وبعيدا عن أحكام الواجب وصيغ اللزوم والإلزام نجد أن مضامين الاستخلاف بمرجعيته العقدية يبين تحديد

(1)_ادريس حمدي، الإنسان الخليفة في القرآن الكريم، [المغرب، د.ط، 2016م]، ص 83.

(2)_الرازي فخر الدين، مما تيح الغيب [بيروت، دار الفكر، 1993م]، ج14، ص 139.

(3)_صفاء موزة، حماية البيئة الطبيعية في الشريعة الاسلامية، ص 112 وكذا الرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص 139.

(4)_تعرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الوعي البيئي بأنه «منهج إكتساب القيم وتوضح لمفاهيم التي تهدف إلى تنمية المهارات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات التي تربط بين الإنسان وثقافته »، أسماء وعايد راضي، التربية البيئية، بالأردن، دار حامد]، ص 59.

(5)_ابن نظام الدين الأنصاري، فواتح الرحموت، [بيروت، ط1، دار صادر، 1322هـ]، ج1، ص 95.

القرآن الكريم لمنهج فريد للتربية البيئية ضمن أطر جمالية تسمو بالذوق العام وتنأى به عن كل ما يشن لمسات الجمال التي ينطق بها الوجود ككل فالكون مدرسة لتهذيب النفس بالإشارة إلى دلائل القدرة ومعاني الجمال بحيث أن كل ملمح في ثنايا وجنيات الكون كفيل بتغذية مشاعرنا بمعاني وصور الجمال المتلاحقة بما يفيد عدم معاداة العقيدة الإسلامية للجمال بل إنها نتجاوز ذلك إلى تحديد ضوابط التمتع بالجمال ضمن أطر المسؤولية والالتزام بحدد الفطرة السليمة التي تراهن على تحقيق الحياة البشرية المتوازنة في تعاملها مع معطيات الحياة وكل ما يحيط بالخليفة الإنسان قلت تراهن بالتركيز على تناسق وارتباط ذلك الخليفة مع بيئته وكونه ككل ففوضى الإنسان ليس بجمال بل الجمال وابعاده نجده بتعانق مع نظام حياته واتساقه مع نظام الكون وسننه قال تعالى: "**ما ترى في خلق الرَّحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور**" [الملك: 3]، كما أن تنصله من واجباته البيئية ليست بجمال بل الجمال يكمن في تناسقه مع شركائه في الوجود من نبات وحيوان وحتى لجمادات فهي كحال ذلك الخليفة تؤدي ما أنيط بها دونها حلل ولا تقاعس(1)، قال تعالى: "**الَّذي جعل لَكُم الْأَرض فراشًا والسَّماء بناء وأَنْزل من السَّماء ماء فَأَخْرج به من الثَّمرات رزْقًا لَكُمْ**" [البقرة: 21-22].

ومن مقتضيات هذه الرؤية الجمالية للسلوكات البيئية بمضامين البيئية بمضامين الخلافة الاعتقاد والجزم بقيام رابط الإشتراك في التكوين فعلى الرغم من كون ذلك الخليفة .... تلك الأرض والبيئة بمقتضى التسخير فهو مخلوق من عناصرها وهي التراب فكل من الإنسان والبيئة يشتركان في المخلوقية بقدرة الله عز وجل: "**وجعلْنا من الْماء كُلَّ شَيْء حيٍّ**" [الأنبياء: 30]

وبذلك فلا تضاد ولا تباين في علاقتهما، طالما أنهما يخضعان لنفس السن ودورة العناصر وهذا دائما في أفق التوافق والارتفاق الذي يقتضي أن تعامل البيئة معاملة ذي الروح والإحساس فهذا الجدع الأهم يضج بمشاعر الحب والاشتياق ولوعة فراق مسك الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام(2)، كما جاء في حديث جدع النخلة عنا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا؟ قال: «إن شئتم" فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع إلى ذلك المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها إليه»(3).

ليس هذا فحسب بل إن المولى عزوجل قد فجر ينابيع الود في صلد الجبل وهو أحد فيقول النبي عليه الصلاة والسلام «هذا جبل يحبنا ونحبه» (4).

وعلى منوال هذه الأمثلة كثير وكلها تشهد على تمتع عناصر البيئة لمكوناتها بأحاسيس تنفعل بها مع الخليفة

---

(1)_الزهرة لحلح، "مضامين الجمال والمسؤولية في البع البيئي الاسلامي، ص 250.

(2)_صفاء موزة، حماية البيئة الطبيعة، ص 72.

(3)_أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (3391)، ج2، 1226.

(4)_أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من غزابصي للخدمة، رقم الحديث (2736)، ج974/2.

الانسان في حدود آدب الوظيفية وفق النواميس الكونية وفي جميع أحوالها هي عابدة مثلها مثله مسجة.

وتسعد بالمسجين فتتجاوب معهم بفطرتها وعاطفتها الإيمانية قال تعالى: "**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**" [الإسراء: 44]

وَإن من شأن هذه الوشائح الحميمية التي تصل الانسان ببيئة أن تؤسس لوعي ينبئ ضمن شرائط الخلافة السوية ومن منطلق الحب والتقدير بفرعيها: العبادة والعمارة لتكون في فكر ذلك الخليفة تصورا متكاملا عن حقيقة وغاية وجودة فيعلم أنه في عبادة لله عزوجل انطلاقا من المفهوم الواسع للعبادة، إذ العبادة في الإسلام هي إسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في دائرة متسعة ومتكاملة تكتنف حياة الإنسان ككل(1)، يقول تعالى:" **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**" [الذاريات: 56].

والعمل في الإسلام بمعناه الشامل والحقيقي، يمثل التعبد بالشعائر الدينية كما يشمل أيضا جميع أنشطة الإنسان في حياته لأن العبادة فعل إرادي يصدر عن ارادة ونية يراد بها التقرب إلى الله عزوجل وهي نوعان علم وعمل(2)، هذا الأخير يشمل كل الأنشطة الخاصة بالفرد داخل اسرته فضلا عن أموره الاجتماعية والمالية... وعليه يكون الإصلاح في البيئة وارتفاقها من العمل الصالح الذي ورد الأمر به في غير ما آية من الذكر الحكيم: "**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**" [البقرة: 251].

فهذا بيان بوجوب التناصح بين بني آدم ليمنعوا بعضهم من الإفساد في البيئة المرهونة بسلوكاتهم الخاطئة وإخلالهم بواجباتهم تجاه ما استؤمنوا عليه(3).

4. المبحث الثالث: الخليفة النموذج بين الصياغة العقدية والمبدأ الأخلاقي

إنه وفي غياب التصور العقدي للأمانة الاستخلاف وعلاقتها بشواهد وسلوكات الارتفاق البيئي وأخلاقياته بنسخة الخلفية الإنسان حينها ستغيب العلاقة الوجدانية التي تصل ذلك الخليفة ببيئة وتسيطر عليه تلك النظرة الإزدرائية المتغولة لاستحواذ غدائه في خضم الكدح الإنساني للتوقي من غوائلها بنفس العداء وروح السيطرة والقهر لأن ولهذا يذكر الإنبصار أن إختلاف التصورات هي من تحديد وتخلق نواظم متباينة في الحكم على الأشياء والتعامل معها: «التصور الفلسفي والعقدي لعلاقة الإنسان بالبيئة له بالغ الأثر في تصرفه السلوكي إزاءها ويقوم هذا التصور على معادلة دقيقة بين الإنسان والبيئة طرفاها وحدة من جهة وتميز للإنسان من جهة أخرى فهذه لمعادلة في دقتها وحكمتها هي التي تثمر السلوك البيئي الرشيد العاصم من الأزمات وآي انهزام فيها يؤدي خلل في التعامل البيئي» (4).

---

(1)_يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، القاهرة، ط4، 1995م، ص 49.

(2)_الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين فتحصيل السعادتين، [بيروت، د.ط، مكتبة الحياة، 1983م]، ص 79.

(3)_الزهرة لحلح، مضامين الجمال والمسؤولية.....

(4)_ عبد المجيد النجار، البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة، ص 76-79.

وهذا ما عين ما يصطلح عليه أو يعبر عنه بالتأطير العقدي لنسخة نموذج الخليفة في انكفاءه على مباشرة كونه وبيئته بحيث تنصرف أهدافه وغايات في انساق شديد مع المقصد الحضاري لسلوكاته في تعاطيه مع بيئته استمتاعا واستمتارا الأخلاقي على سبيل الوسيلة التي يقصدها نحو الإقتراب من المولى عزوجل دون أن يكون فعل الانتفاع غايته القصوى وإلا كانت ممارساته البيئية عبارة عن تصرفات استحواذية تؤخر من ترقبه في سلم التحضر والإنسانية كشرائط لازمة للاستخلاف الخير والارتفاق البيئي، الذي ينبغي على الخليفة خلالها الجزم والإقتناع بأنه يتعامل مع درء المفاسد في مهمته الوجودية وفق قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب من الواجب استديار العبث في مقدرات البيئة وإشاعة نواقض وخوارم الوعي البيئي بأخلاقياته وسلوكاته وكلها مجتمعة هي حوائل دون القيام بمهمة الخلافة سواء في جانبها التعمير بالأرض أو في جانب الترقي الانساني بمستوياته العديدة التي تستوجب توفر بيئة معافاة وأفرادا يتنفسون المبادئ الأخلاقية والمرجعية العقدية في تعاطيهم مع السلوكات البيئية الآمر الذي يفرض علينا لازمة بالغة الضرورة وهي أن فعل ارتفاق البيئة بمضامين الخالفة بقع في حكم الوجوب على الخليفة المؤتمن(1).

من الكلام أعلاه نستطيع الوصل بين مفهوم الارتفاق في التحضر الإسلامي والمرجعية العقدية الإسلامية كأحد شروط الخلاقة ومبادئها الأخلاقية وهذ ما تسوغه الآية الكريمة في اعتبار الإفساد في الأرض من سمات النفاق بقوله تعالى: " **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205)**" [البقرة: 204-205]، وعلَيه فهو يعدَ مِنَ نواقَض الاعتقَاد الصحيح (2).

إن مضمون إشكالية دراستنا والمتعلقة بنموذج ذلك الخليفة ومسألة صياغته عقديا وفق مبادئ أخلاقية تحتم علينا التركيز على تحويل بوصلة التفكير إلى المسائل الحياتية الفارقة في حياة الإنسان تمثلا واستجابة لمسؤولياته اتجاه كل متعلمات الوجود الإنساني ومستويات تفاعلاته في حدود إمكاناته وقدراته ليكون ذلك الإنسان الرباني التراحمي أو كما يقول الرافعي في تمثله لذلك الخليفة الإنساني أنه: «المتحرر من نسيان الإنسان والاعتراف ببشريته بمكانته في الأرض وتصحيح نمط علاقته بربه وتحويلها من صراع مسكون بالرعب والخوف إلى علاقة تتكلم لغة لمحبة» (3).

وليس ثمة من سبيل إلى تلك اللغة لا إذا ارتفق الانسان العقيدة والعقل في رسالة الاستخلاف على الأرض تعسيرا وإصلاحا بتوظيف معاني التكريم واعتبارات الأفضلية التي تنطلق من تلمس جماليات وعمق العلائق التي يرتبط بها الإنسان بالكون من حيث تركيزه على حقيقة التوافق بين الإنسان والبيئة بأساليب مختلفة وعلى

(1)_عبد المجيد النجار فقه التحضر، ص 155، 156.

(2)_ المرجع نفسه، ص 157.

(3)_عبد الجبار الرفاعي، إنقاد النزعة الإنسانية في الدين، بغداد، ط2، مركز دراسات فلسفية، 2013، ص 2.

مستويات متعددة مبرزا خلالها وجوه التشبه بينها وبينهما أي الإنسان والبيئة وكذا مظاهر الوحدة في المآل والمصير والصيرورة (1).

وكلها معان نستجلى بإعمال العقل والمقاربة بين ارتفاق البيئة وحرص النصوص العقدية على حماية العقل من كل عوارض الإتلاف والفساد، إذ كثيرا ما تختم آيات الذكر الحكيم بالدعوة إلى فعل التعقل والتدبر كما في قوله تعالى: "**ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**" [الأنعم: 151].

وهذا باعتبار أن العقل نعمة منه تعالى تستوجب شكرها و استغلالها حتى يتمكن ذلك الخليفة من الموازنة بين المصالح والمفاسد بوساطة المحافظة على مناط التكليف العمل ضمن ظروف بيئية سليمة تتنافى مع التلوث الهوائي الذي يعد من أكبر أخطار التلوث حاليا لما يحمله من ملوثات الإحتراق والاشعاع على شاكلة اليورانيوم المخصب والمستعمل في الحروب خاصة وأنه يستهدف الخلايا العصبية تدميرا وتشويها (2).

ولأجل تجاوز كل مضامين الإفساد المنافية لمعالم الإرتفاق البيئي ينبغي التعامل أو تجري المعالم السلوكية البيئية في أفق الصياغة العقدية للخليفة الإنسانية لأنها ذات المعالم المعمول عليها في تقرير وتأصل الرفق بالبيئة تثمينا لأواصر فاعلة من انشاءها إقصاء كل الممارسات السلبية والقاصرة ولكن في أطر القيم الآتية:

-ارتفاق الصيانة والاستغلال:

إن مفهوم إرتفاقات الصيانة التي ينبغي تأصلها وحضورها في الصياغة العقدية للخليفة والتي ينبغي ترجمتها في السلوكات البيئية لا تقتصر فقط على الكف عن الهالك عناصر البيئة الطبيعية بل يتعداه إلى الكف عن تلويث البيئة بطرح أو إذاعة طاقة أو مات في البيئة بكميات رهيبة، وكذا الحد من الاستخدامات الغير مشروعة بتغيير الصفات الفيزيائية للبيئة أو الكيميائية أو الإحيائية (3)، وبناء على هذا فإن المبالغة أو الجنوح نحو الاستخدام الغير معقلن والخارج عن حدود الوسطية والاعتدال يدخل في معنى الإسراف المنهي عنه كالاستخدام المفرط والمبذر للمياه ولو كان للطهارة ومنه الصيد الجائر للحيوانات دون مراعاة لفترات الخصوصية لديها أو اختلاف اعمارها فهذا يدخل في باب الإتلاف وكذا الاستهلاك المفرط للسلع بغير حاجة ملحة لأنه يدخل في باب إضاعة المال ويلحق به الإفراط في استخدام اشكال الطاقة(4)، وكلها تعبر عن أفعال التعدي على البيئة والإفساد في الأرض لذي ورد الذكر الحنيف بالنهي عنه "**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**" [الأعراف:

---

(1)_أبو الوفا التفتازاني، الإنسان والكون في القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1995م، ص 71، 72.

(2)_لحلح الزهرة، مضامين الجمال والمسؤولية...ص 257 وانظر يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في الإسلام [القاهرة، د.ط، 2001م]، ص 150، 152.

(3)_محمد صابر، الإنسان وتلوث البيئة، السعودية، ط1، 1421هـ-2000م، ص 8.

(4)_صفاء موزة، حماية البيئة الطبيعة، ص 219، وانظر غدا الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني في الواقع الإنساني، الدرار المصرية اللبنانية، ط6، 1996م، ص 117.

31] "**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**" [الإسراء: 26]

وتبعا لما تم ذكره يصبح من مستلزمات الارتفاق البيئي صيانة مقدراتها الكمية والكيفية وكذا نظامه الذي ركب عليه منتفعا به 3 حدود ذلك النظام المقدر لمصلحته المولى عزوجل لم يخلق عنصرا من عناصر الكون ولا رتب كيفية من كيفيات إلا وفق حكمته أرادها ويجتمع من مفردات تلك الحكمة الصلاح الكوفي الأشمل» (1)، مما يفيد الترابط الوظيفي بين مخلوقات الله عزوجل حيث من المفاهيم الأساسية في الصياغة العقدية للارتقاء البيئي أن كل الوحدات المكونة لنظام البيئة أو الكون ككل تفيد أن لها وظيفتان وظيفة دينية كونها آية ودلالة على بديع صنعه تعالى وفسيح قدرته ضمن العناصر الطبيعية الأساسية كالماء والهواء والنبات والحيوان ووظيفة ثانية وظيفة اجتماعية لخدمة الخليفة الإنسان (2).

-ارتفاق الجمال:

يقول المولى عزوجل: "**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**" [النحل: 14].

إن مضامين الآية الكريمة توضح صياغة النصوص الشرعية لمفاهيم الجمال البيئية الواجبة الحضور في التركيبة النفسية والوعي البيئي لهذا الخليفة، حيث نجد أن القرآن الكريم فتحدد منهاجا فريدا للتربية البيئية ضمن أطر جمالية تسمو بالذوق وتنأى به عن كل ما يشين لمسلات الجمال التي تنطق بها جميل خلق الله وإبداعه كأحسن مهدئ للنفس لتذوق الجمال الكوني بمظاهره المختلفة: "**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**"[الحجر: 16] إن هذه الزينة الكونية تهيء لعلاقة مفارقة ومعبرة عن علاقة التوافق الوجداني بين مظاهر الجمال والانتفاع الجمالي بالكون بما يمكن من إزاحة أشكال التملك والاستحواذ المبيح للعدوان على البيئة من حيث أن التذوق الجمالي سيدفع الانتفاع بالكون في خط التنمية الروحية للإنسان إحساسا بمسؤوليته الارتفاقية.

5. خاتمة:

في نهاية الدراسة نخلص إلى الآتي:

-الإرتفاق البيئي يعبر عن التعاملات الحضارية مع بيئة الانسان وفق نسق اللين والرفق وكذا الانتفاع بدون جنوح إلى الافساد ومجاوزة الحد الشرعي في تحقيق المنفعة.

-ينبغي تحقيق الانسان لشرائط الخلافة، في تعاملاته مع بيئة باستحضار قيم الصيانة والرفق والجمال لاستعادة نموذج الإنسان الخليفة الخير.

---

(1)_عبد المجيد النجار، فقه التحضر، ص 160.

(2)_صالح محمود وهبي، البيئة من منظور إسلامي، ص 52.

-نغير النصوص العقدية المتعلقة بالبيئة عن مرجعية عقدية كفيلة بصياغة خبرة لمعالم الخليفة المستؤمن على بيئته وارتفاقها.

-يعد الضبط الأخلاقي لازمة أساسية في افق الارتفاق البيئي وتحصل الخبرية البيئية.

قائمة المراجع:

1. ادريس حمدي، الإنسان الخليفة في القرآن الكريم، [المغرب، د.ط، 2016م].
2. أسماء وعايد راضي، التربية البيئية، [الأردن، دار حامد].
3. البخاري في كتاب الجهاد، باب من غزابصي للخدمة، رقم الحديث (2736)، ج2.
4. البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (3391)، ج2.
5. جميل صليبا، المعجم الصليبي [بيروت دط، الشركة العالمية، 1984م]، ج1.
6. الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، [بيروت، ط3، دار العلم للملايين، 1984] فصل الباء، ج1،
7. أبو الحسن الرماني، معاني الحروف، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، [مصر، دار النهضة مصر للطباعة].
8. حمد وصباريني، البيئة ومشكلاتها [الكويت، ط2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984].
9. الرازي فخر الدين، مما تيح الغيب [بيروت، دار الفكر، 1993م]، ج14.
10. الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين فتحصيل السعادتين، [بيروت، د.ط، مكتبة الحياة، 1983م.
11. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ت: صفوان داووي، [دمشق، ط1، 1996م].
12. الزبيدي، تاج العروس، [بيروت، دار مكتبة الحياة]، ج1.
13. سعيد الخمار، بيئة من أجل البقاء، [قطر، دار الثقافة، 1998م[، ج1.
14. صالح محمود وهي البيئة من منظور إسلامي [دمشق، ط1، دار الفكر، 2004م].
15. صفاء موزة، حماية البيئة الطبيعة في الشريعة الإسلامية، [لبنان، ط1، دار النوادر، 1431هـ-2010م].
16. عبد الجبار الرفاعي، إنقاد النزعة الإنسانية في الدين، بغداد، ط2، مركز دراسات فلسفية، 2013.
17. عبد العظيم الإسلام والبيئة، [الاسكندرية، دط، مؤسسة شباب الجامعة].
18. عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي [بيروت، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1427هـ-2006م].
19. عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، [المغرب، دار الزيتونة، 1996م].
20. غدا الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، البيئة في الفكر الإنساني في الواقع الإنساني، الدرار المصرية اللبنانية، ط6، 1996م.

21. لحلح الزهرة، "مضامين الجمال والمسؤولية في البعد البيئي الإسلامي [الجزائر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد 29، 2011].

22. لحلح الزهرة، مضامين الجمال والمسؤولية...ص 257 وانظر يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في الإسلام [القاهرة، د.ط، 2001م].

23. محمد صابر، الإنسان وتلوث البيئة، السعودية، ط1، 1421هـ-2000م.

24. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، بيروت، ط6، دار صادر، 1999] باب الهمزة فصل الباء، ج1.

25. ابن نظام الدين الأنصاري، فواتح الرحموت، [بيروت، ط1، دار صادر، 1322هـ]، ج1.

26. أبو الوفا التفتازاني، الإنسان والكون في القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1995م.

27. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، القاهرة، ط4، 1995م.